

عن تاريخنا النوى

## عائشة والسياسة (\*)

للأستاذ سعيد الأفغاني

—→←—

لم يتح للسيدة عائشة أن يكون لها أدنى أثر في السياسة على عهد الخليفين العظيمين أبي بكر وعمر؛ بل كان شأنها شأن بقية أمهات المؤمنين أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: يُستفتين في المسائل من أمور الدين، وخاصة فيما لا يعانیه إلا النساء. فبقين بعد وفاة الرسول مثابة لرواد الفقه وحملة الشريعة، وهذا من حكمة الله ورحمته بهذه الأمة، إذ جعل من أزواج صاحب الرسالة من تعيد سيرته المطهرة خمسين سنة تنشر تفاصيلها للناس، كأن الوحي لم ينقطع، وكأنهم من أنواره في شمس لا يلم بها أقول ولا تحجبها

(\*) الأفغاني ٥ - ١٤٠ (طبع دار الكتب)

وكان صنيع هذا القاضي في إكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله وأجل، وبث ولده عوضاً عنه لدخول الحجام معنا وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر. وبأرض الروم طائفة ينتمون إليه ويمرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الأحمديّة بالنراق، والحيدرية بخراسان. وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر»

ولا أنس مسيرى في قونية ليلة الوداع وانتحائي منتدى قرب الحطة وجولسى تحت أشجار هناك إلى نافورة كأن وسوستها في صحت المكان مناخاة أو حديث النفس

وبينا يجول الفكر في مشاهد قونية وتاريخها، ويطير بيني وبين الوطن والأهل في لمحات، انبث المذيع مبلغاً رسالة مصر كأنها جواب التجوى. ولست أدري أعرف صاحب المنتدى أنى مصرى فآتسى، أو كان اتفاقاً أجب حديث الضمير. وكثيراً ما سمعت في استنبول وقونية صوت مصر، لا سيما حين تلاوة القرآن عبر الوهاب عزائم

ظلمة. وليس كل السنة يتسنى للرجال معرفتها، ولولا ما نشرن منها لضاع علم كثير: فكان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة، كثيراً ما يسألونهم في دقائق المسائل وجلالاتها، وعلى هذا اقتصر عمل عائشة لهذا العهد. وكان في ذكائها (رحمها الله) وفي علمها ما جعلها مقدمة على عامة أزواج النبي (ص): يعرضن ذلك من حقها، ويرجن أمورهن إليها... وكان الناس حين يفزعون إلى أزواج النبي لا يسدؤون إلا بها... فكانها فيهن مكان الزعيم...

\*\*\*

فلما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، سارت السيدة في الشطر الأول من خلافته (سيرتها على زمن صاحبيه): فتفتى وتحدث وتنشر العلم... لكنه لم يكد لين عثمان يجرى الناس عليه، ولم تكذ القالة تفشو ناقة على بعض تصرفاته، حتى انقلب الأمر، ورأينا السيدة عائشة تقود حركة المعارضة، ورأينا عثمان يتبرم بموقفها كل التبرم ولم تزل السيدة توغل في تدخلها السياسى حتى أدى إلى ما لم تكن تحب، وحتى خرج الأمر من يدها في النهاية إلى يد النوءاء، فكانت أشد الناس ندماً على ما قدّمت...

كان مما أخذ الناس على عثمان عزله من ولاية الكوفة القائد الموار صاحب رسول الله سعد بن أبي وقاص، وتوليته الوليد ابن عقبة أخاه من الرضاة. فلما حضر وفد أهل الكوفة متذميرين إلى عثمان من عاملهم الجديد انهرهم وأوعدهم... فلعجوا إلى أم المؤمنين عائشة الصديقة مستجيرين. وأصبح عثمان، فصل بالناس الفجر في مسجد رسول الله (ص)، فسمع من حجرة عائشة صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة. فقال: «أما يجد مُصْرَاق أهل العراق وفساقهم ملجأً إلا بيت عائشة؟». فسمت عائشة ففضبت. ورفعت نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت: «تركت سنة رسول الله صاحب هذه النمل». فلتسامع الناس فجأوا حتى ملؤوا المسجد. فن قائل: «أحسنت»؛ ومن قائل: «مال للنساء ولهذا» حتى تحاصبوا وتضاربوا بالفعال. ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له: «اتق الله ولا تعطل الحد، واعزل أخاك عنهم». فمزله عنهم وهكذا استطاعت السيدة بما لها من

الناس عهداً بالرسول وصاحبيه - كم يبلغ من نفوسهم الوجد على عثمان حين فرط حتى بلغ السيل الزبي ، وحتى تغير عليه امرأة - ثم لا تكون تلك المرأة إلا أم المؤمنين عائشة : ترفع عليه في المسجد صوتها وتبرز للمسلمين نعل الرسول مرة ، وشعره مرة ، وثوبه مرة ، تنصبه في حجرتها وتقول للداخلين عليها : « هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته » . وكان عثمان مرة يخطب فدلت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت : « يا معشر المسلمين ! هذا جنباب رسول الله لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته » . فقال عثمان : « رب اصرف عني كيدهن ، إن كيدهن عظيم ا » (١) .

إن الأثر الذي أثرته في قلوب الناس لجد بليغ . ولست أعلم إن قلت : إن هذا التغير في النفوس يكمن ؛ ثم هو لا يزداد على الأيام إلا شدة . وهذا يفسر لنا بجلاء سبب تقاعس أهل المدينة عن نصرة عثمان حين حزه الأمر واغتاله أهل الأمصار .

وزعم بعض الرواة أنها أول من سمته (نمثلاً) و (نمثل) اسم يهودى أو نصرانى طويل اللحية ، لقب به عثمان تشبيهاً له به . وأنها كانت تقول : « إقتلوا نمثلاً . قتل الله نمثلاً » . وكان الناس يسبون عثمان حول فسطاط عائشة بمكة ، وعثمان يمر ، ولم ترث السيدة له ولم تغير شيئاً .

ولقد تضافرت روايات من طرق مختلفة على سمي عائشة على عثمان . ولما آلت الخلافة إلى علي ونهضت هي تطالب بدمه . قال لها عمار : « أنت بالأمس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه ا » وقال لها ابن أم كلاب : « والله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نمثلاً فقد كفر » .

وإذا علمت أن أشد الناس على عثمان - وهو طلحة - يرجو أن تكون إليه الخلافة بعده ، وأن طلحة ابن عم أبي بكر (رحمه الله) ، وأمعتت في الحوادث التي حفت بهذا المهمل ، وجالت بنفسك الخواطر ، وجدت في رواية الطبرى الآتية (وهي مصنوعة باتقان) حل المسألة فاسترحت إليه :

« خرج ابن عباس إلى موسم الحج بكتاب عثمان ، فربما نشأ في (الصُّلُصُل) فقالت : (يا بن عباس أنشدك الله فقد أعطيت

الكتابة والدكاه أن تهبي لمارضتها نجاحاً باهراً . فقيرت هذا العامل على رغم الخليفة . وخير ما نطقه عليها أنها كانت : « زعيمة المارضة » - على اصطلاح هذا العصر - مدة الخليفين عثمان وعلى ...

ثم جاءت شكوى المصريين من عاملهم ابن أبي سرح على نحو شكوى أهل الكوفة من عاملهم . وقامت السيدة في ذلك مقاماً حميداً كما قام غيرها من مشيخة الصحابة مثل علي وغيره .

إلا أن ابن أبي سرح لم يعمل بكتاب عثمان (١) ، وقتل أحد الدين كانوا شكوه ؛ فرجع المصريون إلى المدينة ، وشكوا إلى أصحاب النبي وأزواجه ما صنع ابن أبي سرح . فقام طلحة ؛ فكلّم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه عائشة : « قد تقدمت إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزيل هذا الرجل ؛ فأبيت أن تعزله ؛ فهذا قد قتل رجلاً منهم فأنصفهم من عاملك ... » ولما رجع المصريون بكتاب عثمان المزور ، وضج الناس ، كانت عائشة تذمه كثيراً ، وكانت هي نفسها تقول (فيما بعد) : « إنا نعمنا عليه ضربه بالسوط ، وموقع السحابة ، وإمرة سعيد والوليد . فقضينا لكم من سوط عثمان ... »

وموافق عائشة هذه من عمال عثمان وإرغامها إياه على تغييرهم ، قد آذنه كثيراً حتى خرج مرة عن وقاره واعتداله ، وما يليق به من الاحتمال والحلم . قال صاحب (البدء والتاريخ) :

« كان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد بن أبي بكر وعائشة . وخذله للمهاجرون والأنصار ، وتكلمت عائشة في أمره وأطلت شجرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونمله وثيابه . وقالت : « ما أسرع ما نسيتم سنة نبيكم ا » فقال عثمان في آل أبي نقافة أنرة عائشة ما قال ، وغضب حتى ما كان يدرى ما يقول » (٢) .

هذا ما كان من آثارها ، ودع لنفسك أن تقدر ما يبلغ مثل ذلك من نفوس الناس ، وهم حينئذ أولو الحمية للإسلام ، وأقرب

(١) الحادثة مشهورة ، وقد تركنا من التفاصيل كل ما ليس له علاقة صسيمة بموضوعنا . فليرجع القارىء إلى كتب التاريخ في كل ما يرجو من

إشارات في هذا المقال . (٢) ٥ : ٢٠٥

(١) البغوى ٢ : ٢٠٣

وهي رواية أسخف من التي تسربت إلى الطبري رحمه الله . وهذا موضوع لفق له بعض الناس من الأخبار ما يرضى أهواءهم على ما نرى اليوم من عمل الأحزاب السياسية . بل إن بعضهم كان يتعمد بوضع الروايات التي تنصر صاحبه وتدين خصمه . وما نسب إلى السيدة - في رواية ابن أبي الحديد خاصة - لا يصدر عن الأطفال ، بله من كان في مثل عقل السيدة ودينها وحصانتها

سعيد الأتقاني

لساناً إزيلاً ( نشيطاً ) أن تخذل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفمت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُم . وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد أخذ على بيوت الأموال والخزائن المقاتيح ، فإن يل يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر ) . فقال ابن عباس : ( يا أمه ، لرحل بالرجل ( يعني عثمان ) حدث ، ما فرغ الناس إلا إلى صاحبنا ( يعني علياً ) . فقالت عائشة وقد ينست منه : ( إياها عنك ، لست أريد مكابرتك ومجادلتك ) . « اه -

وعلى هذا تكون السيدة لم تكف بزعرعة مركز عثمان ، بل تطمح إلى فرض رأيها في تنصيب الخلفاء أيضاً وزعم ابن أبي الحديد أن عائشة لما بلغها قتل عثمان قالت : « بعداً لنعل وسحقاً أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه » وكانت تطمح أن يكون الأمر إلى طلحة وتقول : « إيه ذا الإصبع ( تعني طلحة لأن إصبعه سلام ) إيه أباشبل ، إيه يا ابن عم ! لكأنني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع ، حشا الإبل ، لله أبوك ، أما إنيهم وجدوا طلحة كفقوا ... ) ولا بلغها بيعة علي قالت : « تمسوا ، تمسوا ، لا يردون الأمر في تيم ( قومها وقوم طلحة ) أبداً ... » ثم أمرت برد ركابها إلى مكة وتقول : « قتلوا ابن عفان مظلوماً » فقال لها قيس بن أبي خازم : « يا أم المؤمنين ألم أسمك أنفاً تقولين : أبعده الله ؟ وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه وأقبحهم رأياً فيه ! » فقالت : « لقد كان ذلك ، ولكنني نظرت في أمره وأمرهم فرأيتهم استنابوه ، حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صاعماً في شهر حرام قتلوه (١) » اه

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٦

## التأمين على الحياة

ضمان المستقبل  
لك ولعائلتك



أمن لدى

شركة مصر  
لعموم التأمين

شركة مصر لعموم التأمين